الأنفال

والرحلة الشاقة



رضا زيبر زيباري

الأنفال

والرحلة الشاقة

رضا زبير زيباري

1995

المقدمة

قد يكون من النادر أن تجد كوردياً يعيش في كوردستان وذاكرته تخلو من عشرات القصص المأساوية التي هو أحد أبطالها، فالانظمة الشوفينية التي حكمت كوردستان بأجزائها الاربعة قد استعملت كل الوسائل الاجرامية لازالة أسم الكورد عن الوجود سواءاً كان ذلك بالابادة الجماعيةأو بصهر الكورد ضمن القوميات الثلاث أسوة بالاقوام الاصليين الذين كانوا يعيشون في المناطق التي تسمى الآن بالعراق وتركيا وسورية والاردن ولبنان ومصر والذين لم يبق لهم أسماء سوى في كتب التاريخ ولكن الكورد بصمودهم ومقاومتهم استطاعوا الحفاظ على وجودهم القومي، بالرغم من تجرد اعدائه من كل الصفات الانسانية.

من المؤسف ان آلاف القصص الواقعية والاحداث وعلى مر الزمن قد دفنت مع اصحابها ولم يسجل إلا القليل جداً منها.. ابن أحد قادة ثورة (ديرسم) يقول أنه بعد فشل الثورة كان عمره (٥) سنوات وهو يتذكر كأنه كان بالامس عندما كان الجنرال (باروت) يغلي الماء في المراجل الكبيرة ويرمي بالثوار وسطها ويقتل آخرين

بالعصي والحجارة أمام أعين الاطفال والنساء ويتذكر موت آلاف الاطفال عند نقلهم الى سجون (ديار بكر).. تصوروا كم من قصص لهؤلاء الآلاف من الثوار والشهداء والاطفال لم تسجل وكم من قصص كثيرة أخرى وفي مناطق اخرى لم تسجل ايضاً.

لقد استعمل العدو جميع وسائل القتل والتعذيب في ابادة الشعب الكوردي وكان آخرها استعمال الاسلحة الكيمياوية ودفن الآلاف في الرمال وهم احياء كما كان اجدادهم الجهلة يئدون بناتهم، لقد ذهب ضحية هذه الحملة التي سموها بالانفال اكثر من (١٨٢) ألف كوردي ولنحمد الله على عدم حصول هؤلاء الحكام الطغاة على التقنية الحديثة، والا لكانوا قد استعملوا السلاح النووي في ابادة الشعب الكوردي.

حبذا لو كان ما كتبه السيد رضا الزيباري اكثر شمولية، فكثير من الاحداث التي لم يكن هو طرفاً فيها، لم يسجلها او يكون قد مر عليهاباقتضاب، فمثلاً لم يكتب شيئاً عن الاشخاص الذين كان ازلام الامن يأخذونهم من مجمع (جه ژنه كان) وليصبحوا في عداد المجهولين، وكذلك لم يجهد نفسه في البحث عن عدد الذين استشهدوا على ايدي جهاز الامن في قلعة دهوك وكذلك الطريقة التي كانوا يقتلون بها، كان يستطيع ان يستفيد في عمله هذا من الذين عرفهم في المجمع، وكنموذج على ذلك فقد كان في مجمع (جه ژنه كان) رجل يبلغ السبعين من عمره، اسمه (عبدالقادر) وهو من احدى القرى القريبة من مانكيش، كان يستغيث بكل من يزوره ان ينتقم من شرطي للامن اسمه (برندار) عندما ينتصر شعبنا ويكون عبدالقادر قد فارق الحياة. كان هذا الشرطي قد قتل ولديه تحت التعذيب وامام عينيه في قلعة دهوك.. ينتشر نداء عبدالقادر في كوردستان وتدور عجلة التأريخ بسرعة، فينتفض شعبنا ويقع المجرم (برندار) بأيدي ابناء السليمانية حيث كان قد نقل الى مديرية امن السليمانية، لانعرف ان كان ذلك استجابة لاستغاثة عبدالقادر

ام عقاباً لجريمة اخرى قام بها هذا المجرم في السليمانية، فقد ادخلت رقبة (بريندار) في اطار واضرمت فيه النار. بعد سماعه لخبر الانتقام بعدة اشهر مات عبدالقادر وقد خفت بعض من همومه.

لو كان الاخ رضا قد سجل بعضاً من هذه الاحداث لاصبح كراسه اكثر تشويقاً للقراء ومع ذلك فإن ما كتبه سيظل شاهداً على بعض من جرائم صدام التي لاتعد ولا تحصى.

ديار محمد سعيد دوسكي

الانفال والرحلة الشاقة

قبل ان توشك الحرب العراقية- الايرانية على الانتهاء بعد معارك الفاو، وقبل ان تصدر السلطة الحاكمة ما اسمته «بيان البيانات» ايذانا بانتهاء القادسية كنت في ايران- في مقر الحزب الديمقراطي الكوردستاني، للقاء السيد مسعود البارزاني والمكتب السياسي، اطلعهم على الوضع في منطقتنا الذي نعيشه في العراق، فقد بات معلوما وواضحا بان السلطة الفاشية الغاشمة ستحرك قواتها وآلياتها العسكرية الهائلة صوب كوردستان، مستهدفة تصفية حركة الانصار (البيشمركه)، ثوار كوردستان العراق، لتطفئ مشاعل الثورة والامل في نفوس شعبنا الكوردي الابي، واتلقى منهم الاخبار فيما يخص مصير عوائلنا في منطقة الفرع الاول في بهدينان، لان قواتنا من البيشمركه لاتستطيع حماية العوائل، ولاتتمكن من مجابهة اسلحة العدو المتطورة من مدفعية وصواريخ وطائرات وكيمياوي ولانها تقصف المنطقة عشوائيا لا تفرق بين مقر للحزب او قرى آمنة يسكنها اناس مسالمون يؤدون اعمالهم الحياتية اليومية، فالقتال جبهويا امر في غاية الصعوبة،

قد لاتتمكن الصمود بوجه العدو يوما او يومين سيما وان قوات الجيش تدعمها قوات مرتزقة من الجاش تتفوق علينا بالعدد والعتاد والمؤن والاتصالات، مقابل قلة قدراتنا من حيث تأمين الذخيرة ووعورة الطرق الجبلية، حيث نحمل عتادنا على ظهور الحيوانات بينما القوات الحكومية، تنقل الافراد والعتاد والمؤن، بالطائرات العمودية.

اما خوض القتال على شكل حرب عصابات «پارتي زاني»، فيفقدنا القدرة على حماية العوائل وبالتالي تقع العوائل في ايدي السلطة ويكون مجهولاً الا عند الله، هكذا وضحت للقيادة واقع المنطقة، واخذت رأيهم، وكلفني السيد مسعود البارزاني شخصيا بعودتي الى العراق- منطقة عقرة حيث كنت حينذاك عضو اللجنة المحلية للحزب في عقرة والمسؤول العسكري، وامرنا بان نكون في حيطة وحذر لحين وصول اوامر القيادة، حيث يعقد اجتماع المكتب السياسي المكرس لهذه الامور، وبان الاوامر والتعليمات تصلكم قبل وصولكم الى قواتكم في العراق، وكلفني بالاهتمام بالاعلام ورفع وتقوية معنويات قواتنا. غادرت ايران، في طريق العودة الى العراق، عبر الاراضي التركية وفي منطقة «هيهات» واثر حوادث تخريبية «سرقات» قطعت الحكومة التركية الطريق، ولم نتمكن من العودة لانه الممر الوحيد ولايوجد ممر آخر، لكون العوائل ترافقنا وبقينا في قرية «گري صور» وكان سعيد احمد نادر، مسؤول القوات في هذه المنطقة، وبمحاولاته المتكررة مع الاتراك ومكوثنا اثنا عشر يوما، تمكنا من العبور من هذه المنطقة، حيث مقرنا في قرية «كافيا» بمنطقة الزيبار. بعد وصولنا بايام تم اعلان وقف اطلاق النار بين العراق وايران وبدأ الجيش العراقي زحفاً مكثفا الى كوردستان، حيث ابرقنا بهذه المعلومات الى المكتب السياسي والفرع الاول للحزب، بان تواجدا كثيفا للقوات الحكومية يشاهد في عقرة- منطقة نهلة وشيخان ودهوك ودشتا زي في العمادية، كان جواب المكتب السياسي: الصمود امام زحف القوات المعادية، وانتظروا الاوامر عما قريب.

طوق من الحصار

استمر زحف القوات الحكومية، واصبحت عوائلنا في عقرة وشيخان مطوقة من جميع الجهات، وبقي لدينا طريق واحد فقط هو طريق قرية «شني» الى جبل «شرين» بقينا على هذه الحال الى يوم ١٩٨٨/٨/٢٥ حيث وصلتنا برقية من السيد مسعود البارزاني شخصيا معنونه الى الفرع الاول وجميع اللجان المحلية، امر فيها بنقل العوائل من منطقة شيخان وعقرة خلف الشارع الرئيسي لتكون العوائل خلف جبل «شرين». وتنفيذا لهذا الامر بدأت العوائل بالزحف الى منطقة «شني» على الزاب، بينما بقيت بعض العوائل تنتظر وصول دوابهم كي تحملها بالارزاق. في هذه الليلة، ليلة ٢٥-١٩٨٨/٨/٢٦ وفي الساعة الثانية ليلا حلقت اثنتاعشرة طائرة عمودية فوق سماء كوردستان، واطلقت النار على بعض المواقع، كان الهدف من وراء عملية تلك الليلة، ادخال الخوف والرعب في قلوب العوائل من النساء والاطفال، وكنا نخشى ان يستخدم العدو السلاح الكيمياوي ضد العوائل فالجميع شاهدوا مأساة حلبجة وقرداغ وباليسان وبهدينان، في هذه الليلة كثرت العوائل الزاحفة الى منطقة «شني» ووصلت عوائل شيخان الى منطقة زيبار «كافيا» التي تقع في واد ضيق فمنطقتنا السهلية تقدر بخمس كيلومترات مربعة،



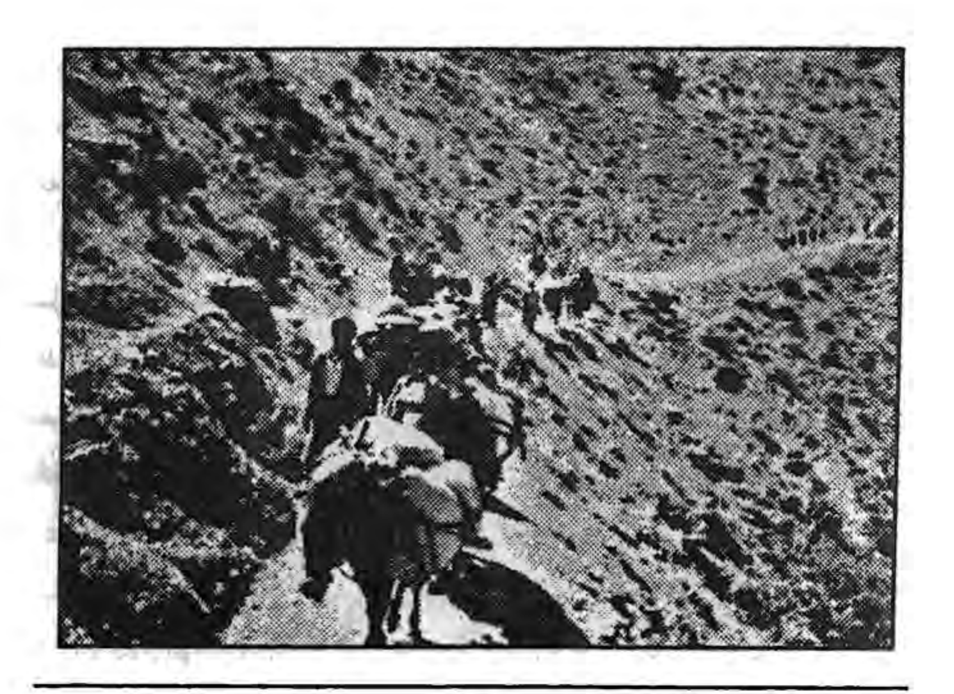
وكان الناظر لايرى الطريق من كثرة الزحف البشري من الاطفال والنساء المحتشدين في هذه المنطقة، وكانت الام لاتعرف مصير ابنها وحيث يذهب الاب الى طريق وزوجته في طريق آخر والاثنان لايعرفان مصير اولادهما، واذكر ان احد الاخوة اليزيديين، كان معه حصان، وضع على ظهر حصانه صندوقين فارغين للطماطة وضع في كل صندوق احد اولاده كل واحد منهما في طرف، كان طريق المسير وعراً جداً انه «گلي نيه» يجري دونه جنوباً نهر الخازر، ولدى ارتطام الحصان اثناء سيره بحجر في الطريق، انفلت الطفلان من الصندوقين من هذا الارتفاع الشاهق وسقطا في ماء النهر حيث جرفهما تيار الماء القوي فما كان من الاب المسكين سوى الهجوم لأخذ سلاح احد المسلحين لينتحر لولا ان منعه الاخرون، هذه مأساة واحدة من مئات المآسي. في يوم ٨/٢٧ وصلت عوائل كثيرة الى قرية(شني) على نهر الزاب، وكان عبور النهر صعباً، فالعبور على(بلم) زورق مصنوع محلياً لا يتسع لأكثر من ستة افراد، بينما آلاف الناس من هذه العوائل تنتظر العبور، وهكذا بقيت اكثرية العوائل على الجانب الآخر للنهر. في يوم ٨/٢٨ احتلت القوات الحكومية

المتقدمة من منطقة (ده شتا زي) العمادية، مقابل قرية(شني)، احتلت نقطة عبور النهر وبذلك سدت الطريق الوحيد للعوائل الباقية التي لم تتمكن من عبور النهر في اليوم السابق.

اما العوائل التي عبرت نهر الزاب والتي تقدر بمائة عائلة، ومن ضمنها عوائلنا فقد تحركوا مشياً عصر نفس اليوم ٨/٢٧ وصعدوا الى جبل شيرين. وادي گلي بازي، حيث هناك عين ماءفي اعالي الجبل، وكان وصولها ليلاً،فبقيت العوائل المؤلفة اكثريتها من النساء والاطفال عند عين الماء، والاطفال المجهدون الجائعون ناموا ولم يكن باستطاعتهم السير، بقينا للاستراحة مدة ثلاث ساعات مع بزوغ الفجر الباكر، بدأ المسير، ووصلنا قرية داويدكان- منطقة مزوري (ولات ژيري) حين وصلناها الساعة التاسعة صباحا، وفي نيتنا الاستراحة والنوم، فهذا يومنا الثاني من مسيرنا دون نوم، لدى وصولنا بدأت العوائل ترتاح تحت اشجار البساتين، حيث كان هدفنا السير عن طريق جبل شيرين (به ره كرا وهوري) الى قرية (سيلكي) وبينما كانت بعض العوائل تبحث لها عن مأوى، للاستراحة، جاءنا خبر بان قوات العدو وصلت منطقة هوري وسيلكي من ناحية منطقة شيروان، وتم سد هذا الطريق علينا ايضا. واصبحت العوائل في حالة خطرة جداً نظرا لكثرتهم، واقتراب القوات المعادية، لذا فكرنا بعدم الاستراحة والسير باتجاه قرية (شنيل) مروراً على ضفاف نهر (روي شين) الى وادي (بالانا)، بدأ المسير من قرية داويدكان، الساعة الحادية عشر صباحا يوم ٨/٢٩ كان سيرنا بطيئا، فالنساء والاطفال لم يرتاحوا ولم يناموا، والحذر في السير بسبب كثرة قوات العدو في المنطقة. وعند وصولنا الوادي (وادي بالانا) صباح يوم ٨/٣٠ اخذت العوائل بالنوم تحت ظلال الصخور، فارسلنا مفرزة الى رأس الوادي في طرفي شيفي وقرية مبرور و بعد ساعات عادت مفرزتنا لتعلن بان القوات الحكومية وصلت الى مبرور وهي تتحرك الى رأس هذا الكلي الذي نحن فيه، گلي (پالانا). لم يكن قد مضى على

استراحة العوائل اكثر من ساعتين، ورغم ذلك امرناهم بعبور النهر (روي شين) بالجاه منطقة الريكانيين، حيث تم العبور بواسطة (بلم) و (داقه رست) تلك الوسيلة التي لها حبل يسحب من طرفي النهر، اكتملت عملية العبور قبل غروب الشمس.

اذن أصبحنا الان في الجانب الاخر للنهر،ولا دراية لنا بالطريق وليس معنا دليل عارف بمسالك وطرق المنطقة. عدا شخص واحد كل معلوماته انه يعرف ان هناك قرية قريبة اسمها (هرباش)في منطقة الريكان، وان مرورنا بتلك القرية شمالا، يوصلنا الى الحدود التركية، وبالجاه جنوب تلك القرية تل مرتفع مسلط على الطريق الوحيد، فكرت بارسال مفرزة من البيشمركه للسيطرة على التل لحمايتنا، لحين عبور العوائل لكون القوات المعادية قريبة منا.



قتال باسل ومعركة غير متكافئة

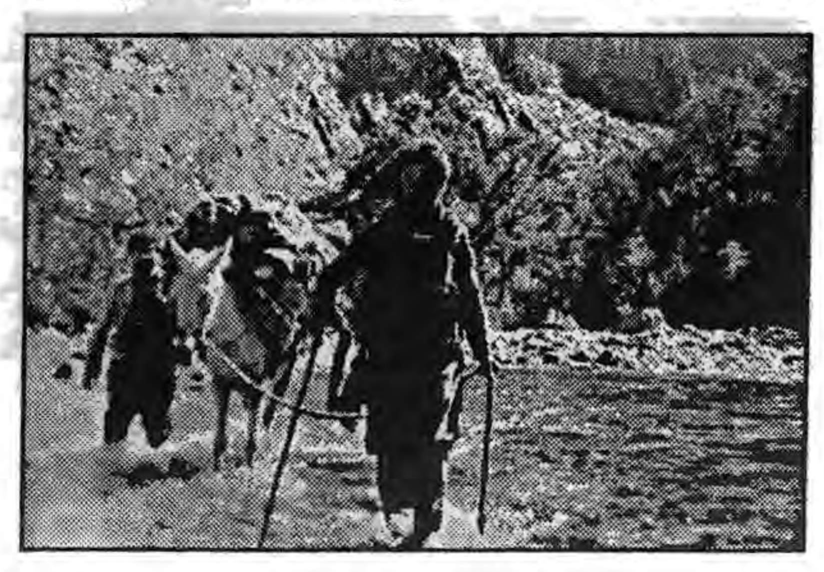
كان برفقتنا في المسيرة، مفرزة من الاخوان الشيوعيين. القاطع الثاني - اربيل، ومفرزة من حزب (الكادحين) جماعة قادر عزيز. ولم تكن ترافقهم عوائلهم، اما بيشمرگه حزبنا الديمقراطي فقد كانوا يرافقون عوائلهم وكل واحد منهم كان يحمل اثنين من اطفاله على كتفيه اما الارزاق والمؤن فقد نفذت، وبدأ بكاء الاطفال جوعاً، فاليوم هو الرابع مشيا على الاقدام بدون استراحة او نوم، حيث كنا نامل بانه يجب الوصول غدا الى الحدود التركية والا ماتت العوائل كلها جوعاً.

مساء يوم ١٩٨٨/٨/٣٠ طلبت من مفرزة الكادحين، التحرك للسيطرة على التل المذكور جنوب قرية هرياش. تحركت المفرزة وكم كانت فرحتي عظيمة وانا ارى احد البيشمرگه ينتصب واقفا فوق التل، قلت الحمد لله، الطريق مفتوح. وبدأ تحرك العوائل للعبور من هذا الطريق، وعندما اصبحنا على مسافة مائة متر من نقطة الخطر، تحركت قوة العدو في نفس الوقت لاحتلال التل وقطع الطريق علينا، اشتبكت مفرزة الكادحين مع القوة المعادية المتقدمة فاستطاع العدو لتفوقه عدديا، احتلال التل وبدأ العدو التحرك باتجاه العوائل لاسرها، ودار القتال بيننا وبين العدو، كان الوقت ليلا والظلام دامساً، وقنابل (ار بي جي) تنفجر تحت اقدام

الاطفال والنساء، كان هناك وادٍ صغير فيه كهف، وضعنا العوائل في هذا الوادي الصغير، واستمر القتال والعدو يزج باعداد متزايدة من افراده في المعركة. صمدنا ولم يتمكن العدو النزول الى الوادي. حيث نقطة العبور النهر، ولم يتمكن العدو من استخدام الطائرات لكون المعركة ظلت تدور ليلا، وانسحب العدو.

طلبنا من مفرزة الرفاق الشيوعيين التقدم الى التل لاحتلاله والسيطرة عليه ثانية والا سوف تقع العوائل كلها بيد الحكومة، وهذا يشكل كارثة لان الحكومة لم تكن قد اصدرت قرار العفو العام. وكان يتم قتل كل من يقبض عليه حتى النساء والاطفال في هذا الموقف الرهيب، ابدى رفاق مفرزة الشيوعيين استعدادهم لتنفيذ الطلب، وتقدموا ببسالة نحو التل وتمت السيطرة عليه، في قتال بطولي مشرف ولن انسى موقفهم البطولي هذا سيما امر مفرزتهم والذي اجهل اسمه مع الاسف.

اذن في نفس الليلة، فتح الطريق، وعبر قسم من العوائل، الا ان العدو كرر هجماته واحتل الطريق ثانية قطع علينا الطريق مرة اخرى فكنا في مؤخرة العوائل، كي لايبقى احد من الاطفال والنساء في هذه الليلةالرهيبة، في هذا الموقف



العصيب حيث انقسمت العوائل الى قسمين، قسم منهم عبروا والقسم الاخر بقوا والليل على وشك الانتهاء، لم يكن امامنا سوى ان نضع العوائل الباقية في هذا الوادي، في الكهف، وطلبنا من النساء عدم التحرك خلال النهار الى اليوم الثاني ليلا حيث كنا سنصلهم على اية حال لكوننا اصبحنا وسط العدو يحيط بنا من كل جانب. واخذنا كل الاولاد ممن تتراوح اعمارهم عشر سنوات مما فوق خوفاً من وقوعهم بايدي السلطة، اخذناهم مع الرجال، واختبئنا تحت الصخور الكبيرة على ضفاف النهر رأس وادي پالانا.

نفذ الخبز ولم يبق للعوائل شئ ليأكلوا فقسم منهم لا يستطيعون التكلم جوعا لانهم تركوا الخبز المتبقي معهم بسبب صرخات النساء والاطفال اثناء القتال ليلا. كما ان قسما من النساء سلمن انفسهن بيد الجحوش اثناء القتال، فكان الجحوش ياخذون من جيوبهن ما بقي لهن من مال و كان هؤلاء الجاش الذين قطعوا الطريق عنا واخذوا المال من الناس من عشيرة منتك، جماعة ابراهيم اغا منتك من منطقة اربيل.

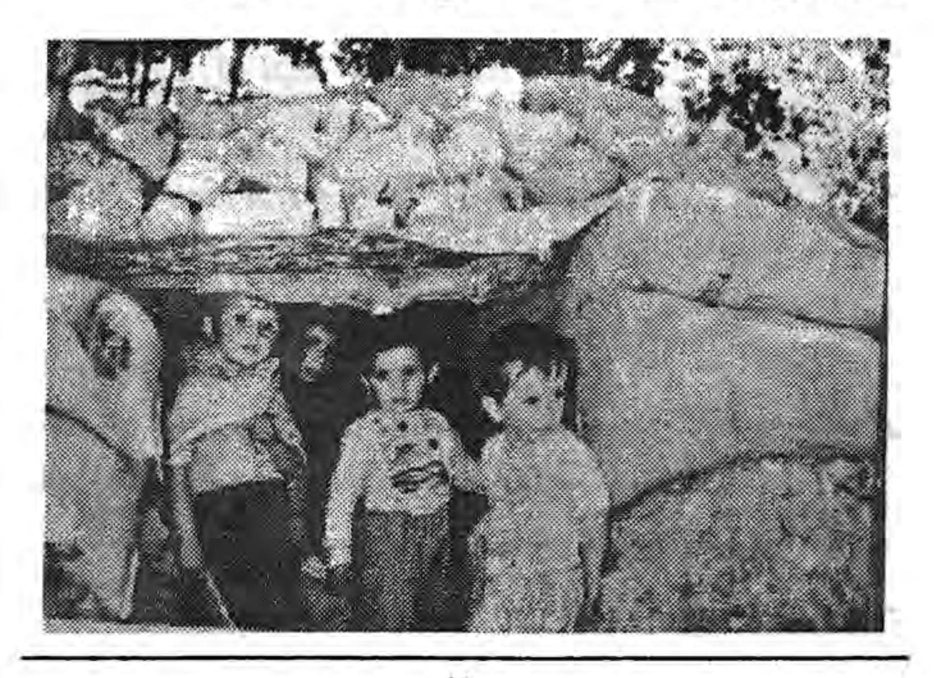


موقف نبيل

في صباح ٨/٣١ وصلت قوة معادية الى مكان العوائل عن طريق اخر لم نكن نتوقعه حيث جاءت متقدمة من خلف الوادي متكونة من فوج من الجاش وفوج من الجيش، بينما كنا نحن نتوقع تقدم القوات العسكرية من الاتجاه الذي حدثت فيه المعركة فيها ليلا كان فوج الجاش تابعا الى عمر آغا السورجي، وعندما دخل احد افرادهم الكهف رآها مليئة بالنساء والاطفال بضمنها عائلتي وكان هذا الشخص يعرفهم معرفة شخصية، خرج من الكهف وذهب الى مستشاره امر الفوج عمر آغا واخبر بان الكهف والوادي مليئان بالعوائل بضمنهم عوائل معروفة فاخبره عمر آغا بالعودة اليهم وابلاغهم بترك الوادي لان قوات عسكرية اخرى تعقبنا وتتوجه اليهم، واخذ المذكور يماطل ويناقش امرهم العسكري واوهمه بان خطتهم ليست هذا الطريق وانهم اخطئوا في تقدمهم وبالتالي ليس هذا هدفا وبهذه الحجج اوقف الرتل من التقدم الى الوادي حتى تتمكن العوائل من ترك الوادي وبالتالي تجنب وقوعهم في الاسر وبذلك وقف موقفا مشرفا رغم وقوفه في الصف المعادي.

وبناء على ذلك تركت العوائل المكان بدون علمنا مع قدوم الليل قمنا متوجهين واحدا واحدا خوفا من الكمائن لكوننا محاصرين من كل جوانب استطعنا الوصول

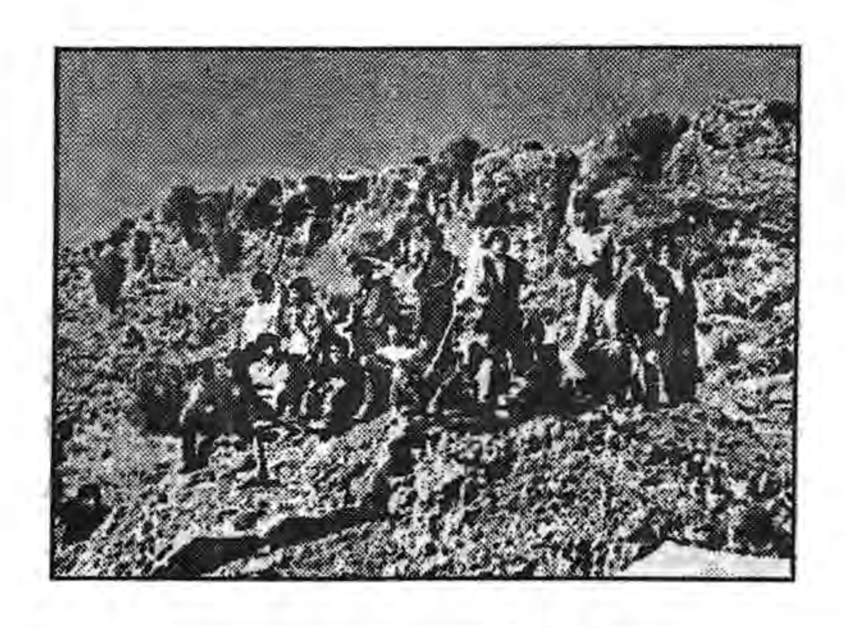
الى مكان العوائل ودخلنا الوادي الصغير للالتقاء مع العوائل والهروب من طريق آخر وكم كانت دهشتنا كبيرة عندما لم نجد العوائل هناك مع ان كل حاجياتهم كانت متروكة في الكهف لقد تبين انهم تركوا الوادي الى جهة مجهولة، ولم نعرف مصيرهم.حيث لم نكن نعرف شيئا عما جرى بين السيد عمر آغا السورجي والعوائل. انتشرنا وذهب كل واحد منا الى جهة ونحن ننادي مقلدين اصوات العصافير (كلوكلو) لعل وعسى ان نسمع جوابا منهم لكن مع الاسف لم نعثر على شئ ولم نسمع سوى اصوات الجنود. وفي الصباح الباكر عدنا مرة اخرى الى مكان اختفائنا، تحت صخرة كبيرة من موقعنا كنا نرى الجنود والجاش ويقتربون منا الى مسافة عشرين متراً دون ان يلاحظونا لانهم لم يفكروا ابدا بقاء مفارز من البيشمرگه في هذه المنطقة. وبقينا على هذه الحال مدة يومين نختفي في النهار ونكرر محاولاتنا للعثور على العوائل في الليل، حيث لم نسمع سوى صوت ثعلب او حيوان بري، وكنا نؤمل انفسنا اننا سنسمع صوت الاطفال والنساء.



خيبة امل

وقد علمنا فيما بعد، ان العوائل لما خرجت من الكهف وتركت الوادي، توجهت غربا الى منطقة (چم جي) الريكانيين وابتعدوا عنا فهم لم يكونوا يعرفون شمالهم من جنوبهم، وحوصروا في وادٍ اخر، هناك توفي عدة اطفال جوعا، بضمنهم اطفال من عائلتي التي كانت معهم، وقد دفن الاطفال بايدي النساء، وكان بعض النسوة يضعن اياديهن على فم والدة الطفل المتوفي كي لايرفع صوت بكائها ويسمعها الجنود والجاش القريبون منهم بحدود بحدود مائة متر تقريبا.

اما كيف بقيت تلك العوائل على قيد الحياة ولم تمت جوعاً؟ فحسب اقوالهن، ان



احد الجنود من فوج ٣٩ واسمه (عبدالله حسو عبدالله زيباري) مع ثلاثة اخرين من هذا الفوج المتمركز في المنطقة، كان يرسل لهم الطعام ليلا مع هؤلاء الثلاثة، بصورة سرية وكتمان شديد لايعرف بهم احد غيرهم.

لنتوقف قليلا عند موضوع العوائل ونعود الى موضوع الرجال، بقينا مدة يومين اخرين، بدا لنا واضحا ان هذه العوائل قد استسلمت للسلطة، وبدأت القوات الحكومية تشدد سيطرتها على هذه المنطقة بحيث لم تبق صخرة الا وفوقها جندي او جاش، لذا تركنا المنطقة وعدنا الى منطقة بتل و(شنكيل) منطقة مزوري ژيري، تحركنا ليلا من جنوب (گلي پالانا)، وصلنا قرية شنكيل دون ان نعلم ان الجيش متواجد هناك، الى ان شعرنا باننا محاصرون ضمن كمائن لقوات العدو، وفتح النار علينا من كل الجهات، فهذه القوات كلها كانت من الجيش، الا اننا شعرنا ان الجنود لا يريدون قتلنا، لكوننا قريبين جدا منهم، حيث كانت طلقاتهم تمر فوق رؤوسنا. ولم يبق امامنا طريق ومفر سوى صعود الجبل المسمى جبل (باب سيف) الذي يفصل منطقة مزوري ژوري بولات ژيري. كان صعودنا فوق الجبل بدون ماء او طعام، وكان في جيبي طحين مخلوط بالسكر بقدر (٢٥٠) غرام، وكان معي ولدي الصغير (هلكورد) وعمره اثنتا عشر سنة، كلما كان يقول لي انا جوعان كنت اضع في فمه باصبعي مخلوط الطحين، واضع اصبعا اخر في فمي. بدأنا المسير على سطح الجبل متوجهين الى سلسلة جبل شيرين (ده ريا هوري) واجتمعنا هناك وكان عددنا يقدر بـ (٣٥) بيشمرگه مع الاولاد الذين معنا. سمعنا عدة رشقات من بنادق كلاشينكوف مع قذيفتي (ار بي جي) انفجرت احداها قريبة منا فادركنا ان هذا الرمي موجه صوبنا، ورأينا اشخاصا واقفين على ده ريا هوري وهم ينتظروننا، لم نعلم هل انهم اعطوا اشارة لنا لانهم اوقفوا نيرانهم؟

بقينا هناك على سطح الجبل، كل واحد بمفرده تحت شجرة متخفيا من الطائرات العمودية التي تحلق فوق رؤوسنا كل خمس دقائق، وتحسبا من الجماعة التي فتحت

النار علينا، وابلاغهم للطائرات بمكاننا، بقينا مختفين على هذه الحال لحين قدوم الليل. لقد شعرنا بعطش شديد بل ان قسما من الرفاق كان ينزف دما من فمه، لذا اجتمعنا وقررنا انه لابد ان نصل الى ماء للشرب والا كان الموت مصيرنا جميعاً.

ولما كنا فوق جبل باب سيف، الذي يطل على قرية باب سيف، رأينا في هذه الليلة النيران المشتعلة في بيوت القرية. وبدأنا النزول الى الوادي قرب القرية، كان الطريق وعرا جدا وليس معنا دليل يعرف الطريق كان سيرنا بطيئا لوعورة الطريق واغلبنا سقط عشرات المرات قبل ان نتمكن من الوصول الى الوادي ومع اقترابنا من ماء العين رأينا النار موقدة حولها فظننا ان قوة عسكرية متمركزة حول العين، ولما اقتربنا اكثر رأينا ان النار ما تزال مشتعلة باخشاب السبندار (اعمدة الدار) وان الجيش احرق بيوت القرية وانسحب الى البساتين بين باب سيف وشنكيل واقتربنا بصمت وهدوء ورأينا العين خالية من العدو، فرحنا كثيرا لنجاتنا من الموت عطشا، وشربنا الماء وشعرنا اننا نعيش من جديد وبدأ التفتيش حول اطراف العين عن الارزاق وتم العثور على كيس طحين وصفيحة دهن وبعض الاواني نقلناها الى الوادي الصغير المرتفع والمسيطر على قرية باب سيف وشنكيل من الشمال، وبدأنا بصنع الخبز المقلي بالدهن وبقينا على هذه الحال مدة ثلاثة ايام وكنا نرى بساتين الفاكهة والطماطة والخيار على بعد كيلومترين عنا، والجنود ينعمون بفاكهتها نهارا وينسحبون الى رباياهم ليلا حيث كنا نذهب لتلك البساتين لجلب ما تبقى من الفاكهة لنا.

لاطريق للعبور

فكرنا بطريق نمر به الى ايران، ارسلنا عـدداً من البـيـشـمـركـه من مـفـرزتنا للاستطلاع والعثور على ممر للعبور، ولم نجد طريقا او ممرا الا وفيه قوة من الجيش والجاش وكان معنا جهاز راديو صغير من خلاله سمعنا بيان العفو العام، اجتمعنا نحن الرفاق الحاضرين جميعا واصبح مفهوما لنا بان عوائلنا قد وقعت بيد السلطة ونفذت ارزاقنا وسدت الطرق التي يمكن من خلالها ان نذهب الى تركيا وايران بالاضافة الى عدم قدرتنا على السير مشيا على الاقدام فهذا هو اليوم العاشر تقريبا ونحن نسير بدون استراحة اونوم اوطعام فرأينا ان من المصلحة الالتحاق بعوائلنا وتسليم انفسنا للسلطة لتطلق سراح العوائل وفضلنا الموت على ترك عوائلنا بأيدي السلطة لذا قررنا الاستسلام.

كان معنا شيخ كبير السن يدعى جحي عبدالله بيبو زيباري من قرية(باتي)



ويرافقنا ايضا ثلاثة من اولاده كلفت هذا الشيخ بالذهاب ليسلم نفسه للجيش وليس للجاش فان وجد معاملة قاسية مهينة يكتفي بالقول انا وحدي فقط وان كانت معاملتهم له حسنة يخبرهم بامرنا ورغبتنا بالاستسلام.

في صباح يوم ٩/٩ تحرك هذا الشيخ الرسول قاصدا بستان الفاكهة الذي يتواجد فيه الجنود ونحن نراقبه من مكاننا تمكن الشيخ من الوصول الى البستان دون ان يشعر به الجنود الذين جمعوا سلاحهم في مكان واحد، وهم منهمكون بقطف ثمار الفواكه.

وفجأة شاهدوا شخصا كرديا بملابس البيشمركه بدون سلاح جالسا عند بنادقهم وفي غمرة المفاجأة والدهشة الشديدة قال احد الجنود من دهشته انت منو؟ قال الشيخ انا بيشمركه جئت لاسلم عليكم، فازدادت دهشة الجنود واقتربوا منه فضحك حجي عبدالله وقال: لاتخافوا هذه بنادقكم. فضحك الجميع وصافح الجنود الشيخ، ورافقوه الى مقر الفوج في شنكيل.

بعد ساعات رأينا رسولنا الشيخ عائدا فرحا وقال لنا ان امر الفوج هناك في الانتظار لاستقبالكم حيث صدر قرار العفو وهم لايؤذون احدا واخبرنا ان عوائلنا قد سلمت نفسها ايضا هذا اليوم فتحركنا قاصدين مكان انتظار آمر الفوج ولما رآنا من بعيد تقدم نحونا صافحا ورحب بنا ترحيبا جيدا وذهبنا سوية الى مقر الفوج في قرية شنكيل واخبرنا بانه يرسلنا الى ناحية ديره لوك حيث آمر اللواء وقائد الفرقة هناك.

لنا طلب منا تسليم اسلحتنا لهم، سلمنا سلاحنا واقترب منا بعض افراد الجاش، فتصدى لهم احد الجنود وقال لماذا تقتربون منهم، هل تنون سرقة ما بقى في جيوبهم؟ وكان لهذا الفوج من الجيش موقف مشرف من حيث المعاملة والترحيب والتودد.

ورافقتنا قوة من الجيش الى ان وصلنا الى نهر ري شين وعندما عبرنا النهر

اطلق بعض الجاش المتواجدون على حافة النهر الرصاص ابتهاجاً باسرنا فانزعجنا كثيراً لكن مالمفر، وليست باليد حيلة، وعند وصولنا الى قرية سيدا رأينا عوائلنا هناك وسوية وضعونا في السيارات وتحركت القافلة الى ديرلوك، حين وضعنا مع العوائل في سجن كان بالاصل مستوصفا متروكا مليئاً بالاوساخ وازبال المواشي والحيوانات، فقد كان اهالي القرية يستخدمونه حضيرة للحيوانات. وضعونا في غرفة مليئة بالازبال مكسورة الباب يوضع الباب بشكل افقي ليحرسنا من هذا الباب عدد من افراد الانضباط وفي كل خمس دقائق ليلا يوجهون ضوء بطارياتهم (اللايت) الى عيوننا ومن كثرة عددنا في الغرفة لم يتمكن احد ان يتمدد ويرتاح وعندما كانت الساعة تشير الى الثالثة ليلاً بينما كان ولدي الصغير هلگورد نائماً واضعاً رأسه على فخذي، سمعت صوتا من الخارج يقول: هل رضا الزيباري موجود؟ فادار الانضباط مصباحه الضوئي على عيوننا واجابه نعم سيدي موجود. فكرت بانهم سوف يُخرجونني ويقتلونني وكم تمنيت ذلك في تلك اللحظات العصيبة.

وانتظرت دون ان استطيع النوم فكانت تلك اخطر ليلة اي ليلة ٩-١٠/٩ حيث كنت اتوقع ان ينادونني باسمي مرة ثانية وفي الساعة الخامسة صباحا سمعت صوتا اخر يقول :رضا الزيباري موجود؟ قيل له نعم ، اجابه الاخر: اخرجه. تحرك الانضباط ورفع الباب الافقي المكسور الذي يسد باب الغرفة وقال: منو رضا الزيباري؟.. اخرج رأيت ضابطين واقفين احدهما برتبة رائد وبيده جهاز صغير بحجم باكيت السيكاير كرر السؤال عما اذا كنت انا رضا وضع يده في يدي ودخلنا البناية المجاورة للغرفة التي احتجزنا فيها حيث كان فيها منضدة وعدد من الكراسي فبادرني بالحديث الهادئ للاطمئنان واكد لي صدور قرار العفو العام واخذ يدير الجهاز الصغير وقال: سيدي موجود والان احدث معه، لم اعلم مع من تكلم لكني اعتقدت انه كان يتكلم مع مسؤول كبير، وضع الجهاز الصغير على المنضدة مفتوحا قائلا : يارضا متى جئت الى المنطقة كما نعلم انك كنت في منطقة عقره؟ قلت: قبل

ايام كنا نتوجه الى الحدود التركية وقد سدت علينا الطرق استسلمت عوائلنا وسمعنا قرار العفو العام لذا ارتئينا ان من الافضل الاستسلام للحكومة قال: هل قطعت عليكم جميع الطرق؟ اجبته قطعت الطرق عن العوائل، اما نحن الرجال فكان بامكاننا الخروج بتسلق الجبال قال: قبل ايام جرى قتال بين القوات الحكومية والعصابات في منطقة سيدا هل كنتم مشاركين في هذه المعركة؟ اجبته كلا لاننا كنا حينذاك في قرية داويد كان. قال: صدر قرار العفو عنكم، ولم يبق الجيش معكم شيئا وسوف ننقلكم الى دهوك حيث جهاز حزب البعث سيتولى الاشراف عليكم ويمكن ان يطلعكم على بعض الارشادات ثم يطلق سراحكم جميعا.

سقاني شايا ثم اعادني جندي الى حيث كنا في سجن المستوصف، ففرحت العوائل بعودتي فرحاً عظيماً فهم كانوا يتوقعون قتلي، دخلت الغرفة وابلغتهم ان المعاملة جيدة وانتظرنا الى الساعة العاشرة صباحا حيث اخرجنا من السجن جميعا ووضعنا في سيارات اللوري سوية مع العوائل تحركت القافلة قاصدة دهوك برفقة حماية سيارات عسكرية مع انه كان في مؤخرة كل سيارة من سيارات العوائل جنديان مسلحان للحراسة.

الاحتجاز في القلعة والمجمعات القسرية

وصلنا دهوك يوم ٩/١٠ ودخلت بنا السيارات قلعة دهوك رأيناها مزدحمة بالعوائل بما يقدر بحوالي (١٥) خمسة عشر الف نسمة وقد اكتظت الغرف والممرات والساحة بالناس لم يبقى مكان للجلوس، غرفها مليئة بالاوساخ، المرافق والابواب مكسورة. يتجول بين الناس في الساحة عدد كبير من افراد الامن والاستخبارات واكثرهم من الاكراد لتشخيص من يعرفونهم، ثم ينادونه بالاسم من مكبر الصوت وياخذونه الى مكان بعيد لمعاقبتهم وتصفية الحسابات القديمة والانتقام منهم لاغراض شخصية، فكل من يسمع اسمه من مكبر الصوت، يتوجه الى المكان المطلوب، مرتجفا، خائفا من التعذيب او القتل.

في منتصف النهار طلب مني احد الاخوان وهو المرحوم نوري شيكي ومحمد خالد بالطي، ان نتجول في الساحة في منتصف القلعة، لكي نتعارف مع هذه العوائل، الا اني رفضت طلبهم خوفا من عقاب رجال الامن والاستخبارات الذين يتجولون فلديهم كل الصلاحيات للقتل والضرب، ولما تكرر طلبهم، نزلت معهم الى الساحة المليئة بالعوائل، فسمعت شخصا يسأل آخر ويقول له: هل تعرف احدا من الزيباريين، فقال له نعم، اجابه من هو؟ قال: هذا واشار بيده نحوي.

تقدم الي وقال: أنت زيباري؟ قلت نعم وقال هل تعرف رضا؟ قلت:نعم انا رضا قال: انا رفيق حزبي كلفني صديق هو چيايي ديوالي آغا الدوسكي ان اراك واطلع على وضعك، وعما اذا كان عندكم نقص في شئ اجبته: هذا وضعي كما ترى فمنذ

يومين لم نتناول طعاماً فطلب مني ان انتظر واخبرني بانه عائد بعد ساعة وفعلا عاد بعد ساعة وهو يحمل من الطعام صمونتين من السندويج وبادرني متاسفا لان الحراس بالباب منعوه من ادخال الطعام، وبانه وضع هاتين اللفتين في جيوبه اخذت منه الصمونتين ووزعتها على عشرين طفلا.

كان هناك في الساحة حوالي عشرة كتاب يسجلون الاسماء في استمارات خاصة وكلما سجلوا قائمة بمائة فرد، يضعونهم في سيارات اللوري ويخرجونهم من القلعة ولاندري الى اين يأخذونكم؟

فالبعض كان يقول سيرحلونهم الى الاردن والبعض الاخركان يقول سيرحلونهم الى السعودية واخرون كانوا يقولون سيرحلونهم الى جنوب العراق والبعض الاخر يقول الى ألموت طلبت من ذاك الرفيق مساعدته لنا بالتوسط عند هؤلاء الكتبة للاستعجال بكتابة اسماء عوائلنا التي تقدر بحوالي (٥٠٠) خمسمائة فرد ليتسنى لنا الخروج بسرعة من هذه القلعة. وفعلا توجه اليهم واقنعهم وتم تسجيل اسمائنا.

يوم ٩/١١ خرجنا من القلعة بقافلة تقدر بـ(٣٠) ثلاثين سيارة زيل عسكرية ولدى مرورنا بشوارع دهوك لم نتمكن من رؤية الناس لكوننا في القسم الخلفي لسيارة اللوري لكننا سمعنا بكاء بعض النسوة على الشوارع اجتازت بنا السيارات مدينة دهوك متجهة الى الموصل حيث وصلنا مدخل المدينة المجموعة الثقافية فطريق الزهور ثم طريق اربيل واستغربنا كثيرا لماذا اربيل فقد كنا نتوقع التوجه جنوبا الى طريق حمام العليل بيجي ومن ثم الى جنوب العراق. ثم راودتنا افكار اخرى بانه سيتم نقلنا الى الجنوب عن طريق اربيل- كركوك- بغداد. وصلنا عصراً منطقة كلك- منتصف طريق اربيل وتوقفت السيارات لحين غروب الشمس واثناء التوقف نزلت من السيارة فوقفت بجانبي سيارة مارة نوع تيوتا بيك اب وخاطبني سائقها الى اين ياخذونكم مع هذه العوائل (هدى قوربه سرين) بالكردية وقبل ان افكر بالجواب ركض نحوه احد افراد الامن محققا معه عما دار بيننا من حديث وحاول

ضرب هذا السائق واخيرا هدده وامره بالتحرك.

بعد الغروب تحركت القافلة وصلنا اربيل ليلا وتوجهت القافلة الى منطقة عينكاوه ووقفت خلف دائرة امن عينكاوه وسكنة من هذه الناحية كما هو معروف اغلبهم من الاخوان المسيحيين كان الموقف رهيبا فالاطفال يصرخون جوعا للحليب بعد ان مات قسم منهم والباقون على وشك الموت جوعاً

كانت دور المحلة تطل على الشارع وعندما سمع اهالي المنطقة بمجيئنا فتحوا ابوابهم لينظروا بدهشة للعوائل ورأينا قسما منهم يبكون ألماً وحزنا على ما آل اليه مصيرنا. نزلت من السيارة توجهت الى باب احدى الدور، وطلبت منهم عما اذا كان بامكانهم تزويدنا ببطل حليب كي لايموت الاطفال في السيارة هذه الليلة؟ دخلت احدى النساء دارها وخرجت حاملة علبة حليب كيكوز وترمز وادوات كاملة للرضيع، وقنينة مملوءة بالماء الدافئ حيث اوصلتها الى النساء داخل السيارة وبدأ هؤلاء الناس الطيبون يرمون بالخبز داخل السيارات.

بعد ساعة من الوقوف تركنا اربيل وتحركت قافلة السيارات على شارع مبلط حوالي (٢٠) عشرين كم، ثم سارت على شارع ترابي في منطقة بحركه (جيژنيكان) ورأينا بناية تشبه بنايات مراكز الشرطة توجهنا نحوها ثم عبرناها، حمدنا الله لعدم وضعنا في تلك البناية كي لايكون حالنا كما كان في قلعة دهوك ثم توقفت القافلة على ارض منبسطة صحراوية قرب البناية، فيها حشائش برية جافة ابرية و (بريز) بقايا حنطة محصودة. قالوا لنا انزلوا: هذا هو مكانكم. نزلنا على هذا التراب دون ماء وطعام ومنام وللدلالة على استهتارهم اود ان اذكر حادثة وقعت تواً لدى نزولنا من السيارات فحدث ان شخصا كبيرالسن جدا لدى نزوله من السيارة جلس وراء عجلة اطار السيارة من كثرة تعبه وقهره. وفجأة تحركت السيارة للوراء وقتلته فغادر السائق المكان ولم يبالِ وكأنه قتل حيوانا وليس بشرا دون اكتراث.

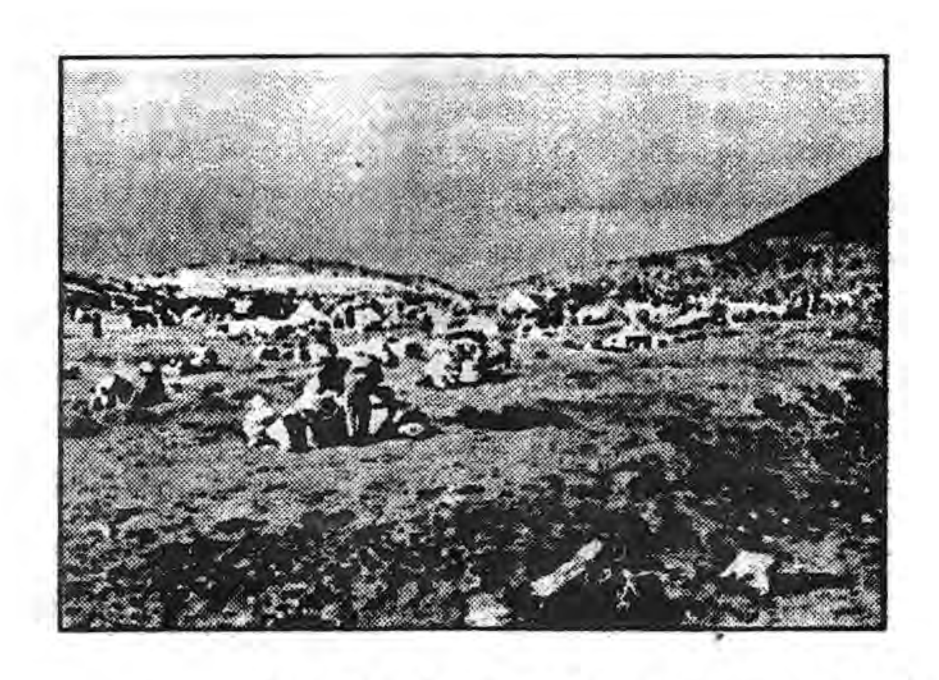
بحركه

«جيژنيكان» هذه هي المحطة الاخيرة في رحلة العذاب والموت والالم والانكسار يجاورها على مبعدة ثلاثة كم مجمع بحركة وانتشرت التسمية باسم مجمع بحركة ولدى وصولنا اليها ليلة ١١-١٩٨٨/٩/١٢ كان قد سبقتنا عائلة. وهذه المنطقة ارضها سهلية مهجورة تنتشر فيها الاشواك، بعيدة عن القرى المأهولة نسبيا، حشرت فيها عوائل البيشمرگه دون ملابس سوى ما يرتديه كل واحد منا، ودون افرشة واغطية نوم دون طعام وماء حتى دفاتر النفوس وما بقي في جيوبنا من اموال واوراق تمت مصادرتها منا في قلعة دهوك بعد تفتيش دقيق جداً.

بعد نزولنا من السيارات بفترة توجهت نحونا من مجمع بحركة المجاور سيارة وسألونا عن هويتنا فاخبرناهم اننا اسرى انفال منطقة دهوك.

عادت السيارة ادراجها وبعد ساعتين توجهت نحونا عدة سيارات مليئة بالطعام -التمن والمرك - والخبز في قدور كبيرة فنادوا: هذا عشاؤكم وتراكضت العوائل الى تلك السيارات بفرح غامر. لانه لم يخطر ببال اي واحد منا توفر فرصة ان ياكل حد الشبع.

فاكل الجميع بصورة جيدة وتوالت سيارات اللوري تنقل العوائل الى المجمع وكأن اضوية السيارات، كانت مصابيح كهربائية تنير الظلام في هذا السهل المنبسط واستمرت قوافل السيارات بالتدفق ناقلة العوائل الى المجمع حيث قدر عدد



الواصلين الى اليوم الثاني بـ «٢٢» اثنان وعشرون الف نسمة.

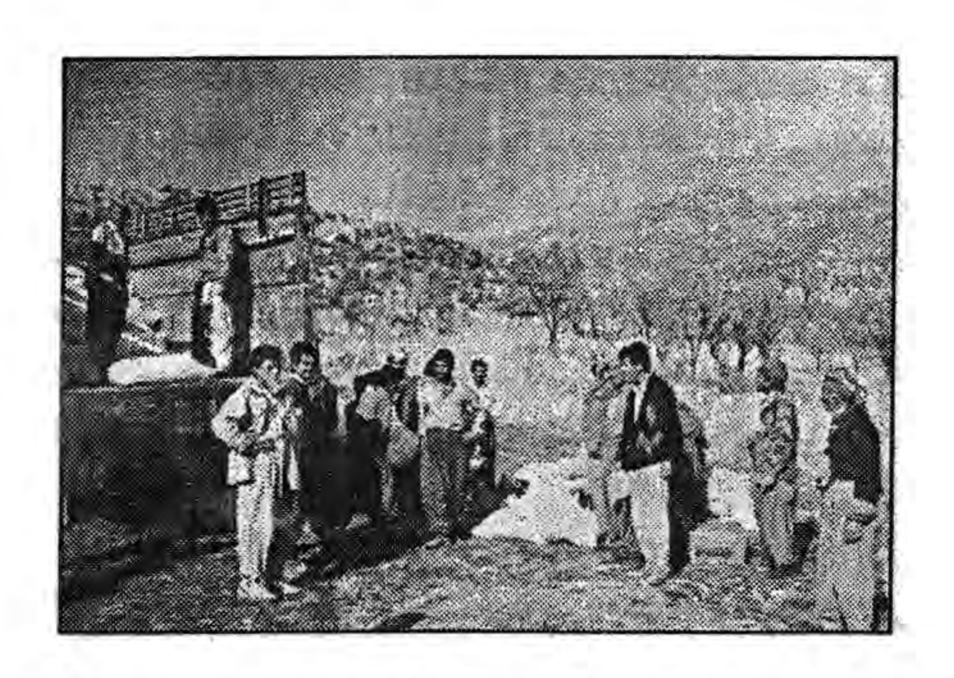
انتشر خبر وصول عوائل البيشمركه الى جيزنيكان في مدينة اربيل، فأخذ الناس الشـرفـاء ينقلون الارزاق والمؤن وادوات الصـبغ والملابس والمفـروشـات، كـانت المساعدات المنقولة الى المجمع بكثرة هائلة الى حد ان العقل لايصدق احيانا ان هناك الكثير الكثير من الناس يحملون في ضمائرهم ووجدانهم هذا الاحساس الاخوي والانساني النبيل بمد يد المساعدة الى بني قومه وقت الشدة مهما قلت ومهما كتبت عن الموقف الانساني والقومي المشرف لاهالي اربيل فلن اتمكن ان اوفيهم قدرهم من الوفاء والاحترام شعرنا حينذاك باحاسيس الفرح والنشوة فقد ادركنا في هذه الظروف القاسية ان ما لا نبناه في طريق نضالنا من متاعب وآلام لم يذهب هدراً مادام شعبنا القوي المقتدر بهذه الدرجة من الاخلاص والتضامن والوفاء. إلا أن السلطة الغاشمة حاولت منع وصول المساعدات فوضعت عدة نقاط سيطرة لارهاب الناس ومنعهم لكن دون جدوى حيث توالت السيارات من جميع

اطراف المجمع لتنقل لنا الارزاق سيارات مليئة بالصمون واخريات مليئة بالافرشة والاغطية والبطانيات سيارات مليئة بالالبسة الرجالية والنسائية والبسة الاطفال وسيارات مليئة بالمدافئ والطباخات وسيارات لوري محملة بادوات الرضاعة الكاملة للاطفال وترامز لحليب الاطفال وقد رأيت سيارة بيك آب مملوءة بمصاصات الاطفال للصغار وسيارات فيها نسوة يحملن حقائب مملوءة بالمبالغ النقدية، تتجولن بين العوائل وتقدمن مساعدة نقدية لكل عائلة بحدود خمسين دينارا ومائة دينار واكثر وتم تكرار عملية التوزيع مرات عديدة، كما ورأيت سيارات حمل مملوءة بـ (مهد) الاطفال.

في اليوم الرابع اصبح لكل عائلة ما يكفيها من ملابس ومنام وأرزاق وخيم وادوات طبخ وكل المستلزمات البيتية وحتى النقود وبفضل اهالي اربيل ولن انسى دور اولاد توفيق آغا من بحركة حيث اخذني في اليوم الثاني الى بيته للاستحمام كذلك دور حجي فاضل من جيزنيكان ومحمود اسعد فتاح الهركي.

اذن حصلت كل عائلة على كفايتها من الارزاق ومستلزمات العيش وانتهت مشاكلنا من هذه الناحية وبقيت لدينا مشكلة الخوف من ناحية الاجراءات السياسية الحكومية ففي الايام الاربع الاولى منعنا من مغادرة المجمع لشراء الحاجيات ومراجعة الاطباء وبعدها وافقت السلطة على تزويدنا بورقة عدم التعرض لمدة اربع ساعات لدخول مدينة اربيل لمراجعة الاطباء وهنا اسجل شكري وتقديري العظيمين لاطباء اربيل اصحاب العيادات اللذين ابدوا كل المساعدات والتسهيلات لمرحلي الانفال الى جيزنيكان حيث كانوا يسمحون لنا بالدخول الى عياداتهم للفحص مجانا وبدون انتظار حتى ان العديد من الاطباء كان يكلف عمال (فراشي) عياداتهم لشراء الادوية من الصيدلية للمراجعين المرضى على حسابهم الخاص.

وهنا اتذكر طبيب اطفال واسمه خورشيد واعتذر لعدم معرفتي لأسماء اولئك الاطباء الاخرين، واشكرهم على موقفهم الانساني النبيل ووقفتهم الشجاعة معنا



في أحلك وأقسى الظروف. فلهم الفخر والاعتزاز لاحسانهم وانسانيتهم. فامام صمود وكرم وسخاء اهالي اربيل نسي الناس احزانهم، هذا هو الموقف المشرف لالاف والاف من ابناء شعبنا البسطاء ممن لم ينسونا ولم يتخلوا عنا ولم يتركونا وحيدين في محنتنا، بل هبوا لتقديم العون والمساعدة، وبذلك برهنوا على اصالتهم القومية، بعكس من موقف بعض«الاكراد» على شاكلة اكراد الامن والاستخبارات في قلعة دهوك ومحافظة اربيل فلدى وصولنا المجمع وقبل وصول المساعدات الكافية من الشرفاء الطيبين، زار المجمع محافظ اربيل (ابراهيم زنكنه)، طلب منه بعض الناس مساعدة اهالي المجمع بالارزاق فجاوبهم باللغة الكردية(خولي بخون) اي(كلوا رماداً)! وللتعرف على الوضع الاجتماعي المأساوي في المجمع اذكر ان ٨٥٪ كانوا نساءً، حيث ان اغلب الرجال استشهدوا او اعتبروا مفقودين مثلاً في قرية(كوزى) ونطقة(به رى گاره) كان عدد افراد عوائلهم حوالي مائة وخمسين من النسوة ولهم من الشهداء خمسة وتسعون شهيداً، كذلك الحال مع قرية كورگه

الدوسكيه وقرية غلبيش واسپندار به ري گاره وقرية ورخل الريكانية، كان معظم رجال هذه القرى شهداء او مفقودين، كما ان قسماً من العوائل فقدوا اولادهم حيث اكد احد الاشخاص في المجمع انه اثناء تركه قريته، ذهبت زوجته مع احد اولادها الى جهة، وذهب الرجل مع اثنين من اولادها سالكاً طريقاً اخر، واصبح وحيداً في الجبل، واخذ طفلاه يبكيان من الجوع، فما كان من الرجل إلا ان وضعهما في مغترة صغيرة بين شقي حجر ووضع حجراً كبيراً فوق الشفة لكي لا يتمكنوا من الخروج، لان خروجهم يؤدي بهم الى السقوط في هذا الجبل الشاهق الارتفاع، بعدها ذهب والدهما لاحدى القرى الخالية بحثاً عن طعام لطفليه. لكن المسكين وقع في كمين للجنود حيث كتفوه واعتقلوه، ولم تفد معهم توسلاته في مساعدته لجلب طفليه وانقاذهم من شقه الحجر، حيث رحلوه الى جيژنيكان، وبقي طفلاه الصغيران، محصورين في شقة الحجر بدون نجدة، يلاقون مصيرهم المحتوم- الموت. كما كان من المألوف رؤية اربعة او خمسة نساء وعشرة اطفال بدون رجال، حيث ان من سلم نفسه للسلطة قبل صدور بيان العفو العام، يرحلونه الى قلعة (السلامية). منطقة الموصل وهناك ياخذون الرجال الى جهة مجهولة ويرسلون النساء والاطفال الى مجمع جيژنيكان.

معاملة السلطة في الايام الاولى

بعـد مكوثنا في المجـمع بيـومين، وصلت سيـارة فـيـهـا ضـبـاط من منظومـة استخبارات بغداد، منهم رائد زيد، توجهوا الى بيتي، حيث كنت قد نصبت خيمة لعائلتي، وقد أبدوا تأثرهم حسب اقوالهم للحال الذي نحن فيه، وقال لي الرائد المذكور: شيخ رضا-ترى بيتك الآن تحت هذه الخيمة الممزقة على هذا التراب، وسوف ترى بيوت المستشارين، رؤساء العشائر من امثالك، ممن خدموا السلطة، سترى قصورهم واموالهم، فلماذا عملت هذا. (ويقصد وقوفي في الصف المعادي للسلطة).
ضحكت واجبته، هذا افضل لان هذا حلالي، واملاك المستشارين وبيوتهم حرام، من سرقة ونهب املاك الدولة والناس الابرياء، ولو كان فيهم خير للدولة، لكانوا يقاتلون شرق البصرة والعمارة، جنباً الى جنب مع اخوانهم العرب. فما كان منه الا ان ضحك وقال:-

جئنا من بغداد للاطلاع على احوال العوائل، وفي الحقيقة لا نستطيع عمل شئ لكم، فكل اموركم بيد القيادة وشخص الرئيس فقط. وفي اليوم التالي وصلت المجمع سيارة مرسلة من منظومة البعث، طلب مني الحضور في منظومة الاستخبارات مع عشرة من افراد البيشمركة ممن سلموا انفسهم للسلطة، واوصلونا هناك بسيارة باص، حيث صعد السيارة احد الضباط ومعه شخص آخر، بادرني الضابط للتعرف على الشخص المذكور قائلاً «انه من رفاقكم جماعة جلال

الطالباني سلم نفسه واسمه ماموستا محسن. فدققت في ملامح وجهه، وعرفت انه ليس بيشمركة لانه نظيف» الا انني تيقنت انها خدعة، صافحني وتعارفنا في باب الباص، وقال الضابط: الصحفيون يسألونكم، فأنت ديمقراطي-جماعة مسعود وهذا جماعة جلال. سار بنا الباص الى قاعة كبيرة مقابل فندق زيتونة في اربيل، رأينا ازدحاماً وسيارات كثيرة ورجال حماية عسكرية منتشرين. قال لي الضابط: هنا في القاعة صحفيون ومحافظ اربيل وصبحي علي الخلف امين سر فرع اربيل لحزب البعث. دخلنا القاعة فوجدناها مزدحمة بالناس واكثرهم كانوا واقفين لعدم كفاية الكراسي. في صدر القاعة حيث المسرح وجدت ستة مستشارين بملابسهم الكردية الجديدة (شل وشبك)، جالسين وكأنهم في حفلة عرس، عرفت من بينهم كريم خان برادوستي وسعيد محي الدين برده ره شي، توشح صدورهم انواط الشجاعة وتلمع كالذهب بحدود سبعة انواط. وكنت لابساً ملابس البيشمه ركه، وقد مضى شهر كامل دون ان تتهيأ لي امكانية الاستحمام. استقبلنا داخل القاعة مدير الامن العميد احمد ومدير المنظومة العميد عبد الملك، اوصلوني الى المسرح حيث وضع لي كرسي في الطرف المقابل للمستشارين، يقف خلفي البيشمه ركه العشرة. كان يتحدث في هذا الاثناء امين سر الفرع صبحي علي الخلف، للوفود والصحفيين جلّ حديثه كان مخصصاً للتحدث عن (الاعمال الاجرامية) لقوات العصابات(اي البيشمه ركه) وبجانبه مترجم يترجم كلامه الى الانكليزية للصحفيين، واخيراً قال نعرض على الجمهور في القاعة دليلين من مئات الدلائل لتروا وتسمعوا باذانكم. قدموا عائلة عربية قالت: ان العصابات قتلت زوجها واخاها وولدها في قرية قريبة من اربيل، بعدها قدموا مطراناً تحدث قائلاً ان البيشمتركه دخلوا الدير وهدموه وسرقوا اموال الدير.

بعد انتهاء هؤلاء من كلامهم. تقدم احد المسؤولين من المنصة وناشد الصحفيين على انهم احرار بتقديم استفساراتهم للحكومة ولهؤلاء (الاشراف) واشار الى

المستشارين، فهم خيرة ابناء الشعب الكردي، خدموا الوطن بكل شرف ونالوا انواط الشجاعة لاخلاصهم، ثم نظر نحونا وقال: تستطيعون الاستفسار من هذا الشخص وهو احد مسؤولي العصابات، سلم نفسه للحكومة، في تلك الاثناء تحرك مدير الامن من مكانه وقال: هذا الشخص الذي ترونه مسؤول عصابات البيشمه ركه وهو شقيق هشيار الزيباري، وابن عمة مسعود البارزاني(حيث اخطأ في تحديد درجة قرابتي لهما،توجه كل الصحفيين الينا، وانا جالس على الكرسي، وبالقرب مني العميد عبد الملك مدير المنظومة واقفاً بلباسه الرسمي. بعد الكثيرمن الاسئلة، سألني مراسل واشنطن بوست:هل استخدم ضدكم السلاح الكيمياوي؟ قلت لا، لو استعمل معي شخصياً لكنت ميتاً. رفع المراسل نظره الى العميد عبد الملك وتحدث بالانكليزية مع المترجم، رفع المترجم نظره اليه ايضاً ماذا يقول هذا الصحفي، هل يستطيع هذا الاسير التكلم معنا بحرية وهذا الحكومي واقف على رأسه: اجابه العميد بهدوء(هذا غير كلب ابن كلب) يقصد به الصحفي وعاد للجلوس في مكانه. وسألنا صحفيون عراقيون مكررين كلمة(عميل) بالسيد مسعود البارزاني



وجلال الطالباني، لدى ردي على اسئلتهم تجنبت ذكر كلمة عميل مع اسميهما، مما اثار مخاوفي في العاقبة وعندما انتهيت رجعت الى المجمع. الايام تمضي وها هو الشتاء ببرده القارص وثلوجه التي غطت الارض، واصبح سكنة المجمع على حافة القبر، من قساوة الشتاء، فلا بيوت لنا وانما كنا نعيش تحت قطعة نايلون، نحتمي بها العوائل من الثلوج والامطار والرياح القارصة، فلا يمكن استعمال النار تحت خيمة النايلون هذه، وبقي هكذا حالنا لحين قدوم الربيع، رغم ان المبالغ القليلة التي كانت في جيوب ابناء المجمع كانت قد جمعت من تبرعات الخيرين من ابناء شعبنا ومن الاقرباء، الا اننا استطعنا ان نعالج بها مشاكل الاخرين من اخواننا، ونورد هنا مثالين على ذلك: في احد ايام الشتاء الباردة اضطر احد الاخوان من منطقة زاخو لاستعمال مدفأة سورية في خيمته النايلونية التي اعطيت له مساعدة، احترق النايلون واحترق اثنان من اولاده مع كل ممتلكاته من الارزاق والافرشة، التي استلمها من تبرعات اهالي اربيل. ونحن بدورنا جمعنا له تبرعات من سكان المجمع تقدر بألف دينار لشراء الارزاق والملابس....الخ.

وفي حالة اخرى، جمعنا تبرعات من الزيباريين المتواجدين في المجمع من اسرى الانفال، بحدود(١٠٠٠)الف دينار، لشخص من قرية(كوريمة)الدوسكية. فعند استسلام اهل القرية للقوات الحكومية، ثم جمعهم نساءاً واطفالاً ثم رجالاً، ولوجود عداوة قديمة لبعض عناصر السلطة مع اهل القرية منذ زمن قديم، فقد اطلقوا النار على جميع الرجال الذين قدر عددهم(٢٠)عشرين شخصاً، بقي هذا الشخص موضوع كلامنا جريحاً في فخذه مختفياً تحت جثث رفاقه، وحسب قوله لما اتى القتلة للكشف عليهم، واطلاق النارعلى رؤوس الجرحى، توهموا واعتبروه من الاموات. بعد مغادرة الجيش للمكان، خرج هذا الشخص من تحت الجثث زاحفاً على بطنه مسافة بعيدة، عندما عثر عليه ضابط عسكري معه ثلاثة من الاكراد من الافواج الخفيفة، طلب الضابط من هؤلاء الاكراد الذين معه، وضع خطة لانقاذ هذا

الجريح من الموت بالادعاء بأنه عائد لاحد مستشاري الافواج الخفيفة، وفعلاً تم نقله الى دهوك، ومنها الى بحركة حيث اهله لم يكن يعلم بامره احد ، عندما جاءني شخص من (بحركة)شرح لي امره بكل سرية وكتمان وبانه مجروح في فخذه، ولحد الان بدون علاج، لا يستطيعون ارساله الى طبيب خوفاً من انكشاف امره، وفعلاً ارسلناه الى بغداد للمعالجة وتم شفاءه وعاد الى المجمع بدون ان تتسرب عنه اية معلومات الى السلطة. من حسن حظنا انه من بين اثنين وعشرين الف نسمة من سكان المجمع لم يكن يوجد اكثر شخص او ثلاثة اشخاص، ينقلون المعلومات من المجمع الى الجهات الخاصة، حيث كان الجميع يعيشون ويتعاملون كأخوة، جمعهم المصير الواحد، وربطتهم اواصر النضال والكفاح في الجبل. تراهم كعائلة واحدة، حتى انه لم يحدث شجار بين الاولاد الصغار ايضاً، فلا حساسية ولاتمايز عشائري ان كان زيبارياً او دوسكياً او بروارياً، كانوا كعائلة متفاهمة متفقة متراصة، وكلما طلبنا منهم امراً، نراهم متجاوبين وكلمتهم كلمة واحدة، وكأننا لجنة تشرف على امور المجمع وتتفاهم مع المسؤولين الحكوميين بإسم المجمع هذه الهيئة التي سميناها كانت تتألف مني، رضا زبير الزيباري والاخ عارف بادي ومحمد طيار سندي وعدد آخر من مسؤولي القرى والقبائل ومن الجدير بالذكر ان اللجنة الحزبية التي اقاموها في المجمع يشرف عليها رفيق من حزب البعث واسمه(ابو ميسون) من اهالي الجنوب، وكان يتمتع بصلاحيات اوسع من صلاحيات الامن والاستخبارات،كان رجلا طيبا وفي وقته شعرنا بالراحة والاطمئنان، فقد كان ضد رجال الامن والاستخبارات ينصح ويهدد مرات ومرات، الاشخاص من ذوي السمعة السيئة من المجمع يمنعهم من رفع الشكاوي والتقارير الى الجهات الرسمية كان يذكر هؤلاء دائما كلكم اخوان وكان اغلب مسؤولي الحزب والدولة في محافظة اربيل من محافظة نينوى من امثال امين سر شعبة مركز اربيل المدعو عاشور وامين سرشعبة عدنان خيرالله في عينكاوه ومدير امن عينكاوه المدعو محمد صالح، كان

هؤلاء من المسؤولين من سكنة الموصل ودهوك حيث كانت تؤثر عليهم العلاقة الاقليمية القديمة، كونهم بالاصل من محافظة واحدة كما تأكدت عن عدم وجود مشاعر الحقد والعداء في قلوب ا لعرب تجاه الاكراد.

كما هو الحال لدى تركيا وايران حيث يحملون مشاعر العداء والحقد تجاه بعضهم البعض اكراد تركيا ضد الترك واكراد ايران ضد العجم، بسبب المجازر والممارسات الشوفينة ضد الاكراد في هذين البلدين، في العراق الوضع يختلف فلا حقد بين الشعبين العربي والكردي انما هناك حقد وعداء بين الاكراد والنظام الحاكم سواء اكان هذا النظام ملكيا او قاسميا او بعثيا. فالكردي يحارب النظام دون خوف ان يغدر به عرب العراق وقد يتهم الكردي من قبل النظام ويختفي في قرية عربية وهو مطمئن آمن ونفس الشئ بالنسبة للاخوة العرب ومهما اشتدت اوزارالقتال بين الاكراد والنظام فالعربي يستطيع ان يتجول في القرى الكردية آمنا مطمئنا حيث يرحبون به كأخ واستطيع القول باعتقادي ان ٩٥٪ من الاكراد يحبون العيش مع اخوانهم العرب في ظل نظام ديمقراطي ودستور دائم. فلدى اندلاع الثورات الكردية وفشلها في كوردستان العراق وايران وتركيا كان العجم والفرس والترك يؤذون الاكراد رغم قرارات العفو من قاداتهم اما العرب في العراق فترى اغلبهم يعارضون قرارات الحكومة العراقية وحتى الجيش فانه لاينفذ القرارات الصارمة للنظام ضد اخوانهم الاكراد والدليل على ما حدث اثناء عملية الانفال في بهدينان فبرغم قرار النظام بقتل الاكراد كان الجندي العربي يستقبل الاسير بكل ترحاب ويعانقه ويسقيه الماء كما ان كثيرا من الجنود من اخواننا عرب الجنوب سالت الدموع من عيونهم هلعا وخوفا على ارواح الاكراد المستسلمين كما حدث معنا في قرية شنكيل منطقة سيدا المزورية بتاريخ ٨/٨.

ودلالة اخرى عند فشل ثورة ايلول وانتكاستها عام ١٩٧٤ ونقل قسم من المسؤولين ممن استسلمو للسلطة مع عوائلهم الى المحافظات الجنوبية ساعدوهم في

كل شئ حتى ان قسما من العوائل الكردية وحسب اقوالهم لم تصرف درهما واحدا فكل مصروفاتهم كانت على حساب جيرانهم العرب، اضافة الى الملابس والارزاق منذ وصولهم عندهم وحتى رجوعهم الى المنطقة الكردية، وكانوا يشاركونهم الاحزان والافراح في الاعياد، حيث انها دلالة قوية على اخوة الشعبين العربي والكردي.

وبالطبع فان الكثيرين من مسؤولي الحكومة من القوميتين العربيةالكردية، كانوا من اشد المعادين لنا لكننا كنا نعلم بانهم كانوا مرتزقة يعادوننا ويعلنون ولائهم للسلطة فمحافظ اربيل ابراهيم زنكنه كان كردياً وعند زيارته لمجمعنا وعندما طلب الناس المساعدة منه كان موقفه عدائيا (كلوا رماداً) كان هو وامثاله يبالغون في اخلاصهم للسلطة ويعلنون امام المسؤولين المرافقين لهم من الامن والاستخبارات ويتبارون في معاداة الشعب الكوردي فهذا هو طريق ارتزاقهم طريق الخيانة لضمان مصالحهم الشخصية ليس لديهم مبادئ وقيم ولا اخلاص للوطن الواحد والوطنية والتراحم بين العرب والاكراد هذا هو محافظنا الكردي في اربيل وموقفه المخزي تجاه ابناء شعبه في اهلك واصعب الاوقات مقابل موقف بعض اخواننا العرب من امثال عاشور رغم انه بعثي امين سر شعبة مركز اربيل وابو فارس امين سر شعبة عينكاوه عندما زار المجمع خطب احدهما بكلام هادئ يخفف من آلامهم بالكلام الطيب قائلاً: كل اموركم متعلقة بالقيادة في بغداد، لا نستطيع ان نعمل لكم شيئا وما علينا سوى رفع آلامكم ومعاناتكم للقيادة ونطلب لكم الفرج وقلوبنا مع آلامكم. لاحظوا الفرق ما بين كلام المسؤول الكردي والمسؤول العربي ولدى حلول يحيى الجاف محافظا لاربيل محل ابراهيم زنكنه كان الرجل في الحقيقة ياتمر باوامر القيادة ولكن كلامه معنا كان مهذبا وطيبا ولم نسمع منه كلمة قاسية وعندما كنا نزوره في المحافظة كان يستقبلنا ويسهل امورنا هو وقائمقام مركز اربيل آنذاك.

حفلة موسيقية في المجمع

وقعت في احدى ايام بحركة (جيزنيكان) حادثة لا بد ان اذكرها حيث كانت اغلبية النساء قد فقدن رجالهن والاطفال فقدوا آباءهم وكان كلما حضر مسؤول مهما كان مسؤوليته في بحركة مركز الشرطة فان كل النساء والاطفال كانوا يحتشدون في ذلك المكان عسى ان يسمعوا شيئاً او خبراً عن مصير رجالهم وابنائهم وابائهم. فحدث ان حضر هذا المسؤول واسمه عاشور امين سر مكتب تنظيم مركز اربيل لحزب البعث ومعه فرقة موسيقية وبدأت الفرقة الموسيقية بالعزف وقام مغنٍ ليغني فكانت اغنيته الاولى (غزال غزال جفت ماء عيوننا مع بسته لاصرت عروس ولا اناعريس) وكان الكثير من هؤلاء النسوة قد فقدن ازواجهن من ضمنهن عرائس لم يمض على عرسهم اكثر من عشرة ايام، وعندما سمعن هذه الاغاني المؤثرة بدأت كل النساء بالبكاء باعلى اصواتهن. سكت المطرب وقال جئنا لنفرحكم، لا لنزيد من احزانكم وسكتت الفرقة الموسيقية وترك اهالي المجمع مكان الحفل وانتهت الحفل بالحزن والبكاء.



ضغوط وتهديد

بعد مرور وقت ليس بالقصير على مكوثنا في المجمع بنيت دارا بمواد البناء المحلية على طراز شرقي تتوسطه ساحة صغيرة في الداخل ومسور بالسياج في الخارج. في احدى الليالي عندما كانت والساعة تشير الى الثانية ليلا سمعت طرقا على زجاج شباك الغرفة التي كنت نائما فيها استغربت كثيرا نهضت مندهشا وقلت من انت؟ اتاني جواب بالعربية: شيخ رضا، انت موجود؟ قلت له من انت؟ اجابني: انه من مفرزة الامن يريد التحدث إليّ. حسبت ألف حساب لهذه الزيارة المتأخرة فلم افتح الباب خوفا من ان تتواجد معه جماعة اخرى، لنا عداوات مستمرة وقد تكون هذه خدعة فاتى الى الباب آمر المفرزة وهو كوردي واسمه (آزاد كردي) وقال: شيخ رضا ان مدير الامن يطلبك.

وعند سماعي صوته، فتحت الباب لانني كنت اعرفه بانه من الامن، ورأيت ان الدار مطوقة بافراد الامن ومفارز كردية مرتبطة بالامن، قالوا لي ان مدير امن اربيل ينتظرك الان في هذه الليلة، طلبت منهم السماح لارتداء ملابسي ودخلت غرفتي ولبست ملابسي وبدأ اهلي يبكون خوفا على حياتي، وتصفيتي في هذه الليلة السوداء طلبت منهم عما اذا كان بامكان احد اقربائي مرافقتي؟ فلم يمانعوا في ذلك ورافقني معهم شخص زيباري واسمه (حبيب حاجي يوسف) لما دخلت دائرة الامن وجدت معاون امن اربيل بانتظارنا، وكانت لي معرفة عائلية قديمة معه، فهو من عائلة العمري بالموصل واسمه ملازم غسان (ابو عمر) استقبلني ورحب بي

واوضح لي ان مدير الامن غير موجود وان علي حسن المجيد طلبك من كركوك ويريد احضارك هذه الليلة وانا بانتظار نقلك الى كركوك وان شاء الله (ماكو شي إلا خير) اجبته اني الان بين ايديكم وتستطيعون ان تعملوا معنا ما تشاؤون ومنعوا مرافقة الشخص الزيباري معي الى كركوك حيث عاد ادراجه الى المجمع واخبرهم باني سافرت الى كركوك واقتنع اهلي بانه تمت تصفيتي جسديا ركبت مع معاون مدير الامن سيارة بحماية سيارة مفرزة اكراد الامن بمسؤولية ازاد كردي المذكور كان تحركنا الساعة الرابعة صباحاً وصلنا كركوك مكتب تنظيم الشمال مقر علي حسن المجيد انتظرنا في الاستعلامات لحين الساعة السابعة صباحاً.

بعدها اتى شخص واشار الى المعاون المذكور الذي رافقني من اربيل، فنهض وطلب مني النهوض، حيث ذهبنا الى الطابق الثاني ودخلنا غرفة كان فيها شخص جالس في مكتبه اسمه (عقيد مرعي) حيث ادى المعاون له التحية وقال له :سيدي هذا رضا زبير زيباري. فجاوبه: هذا هو رضا البارزاني وليس الزيباري، الزيباريون شرفاء مع حكومتهم وهؤلاء عصاة بهذه الاقوال بدأ كلامه وبدون مصافحة جلست دون ان اتكلم او اجاوبه، حيث تكلم كلاما من غير اللائق كتابته على صفحات هذا الكتاب بعد جلوسي قال لي :يارضا ان الاستاذ علي طلبك لكي يتكلم معك شخصيا ، لكن انشغاله باعمال اخرى تطلبت خروجه من كركوك، حيث كلفني ان اتكلم معك نيابة عنه وآخذ منك تعهدا خطياً بتوقيعك ولدى ملاحظتنا اية مخالفة لفقرات التعهد تكون انت المسؤول وتعاقب بالموت قم وقع . قلت: استاذ يمكن ان اقرأ فقرات التعهد؟ ضحك هو والمعاون وقال انا اقرأها لك.

١- انك مسؤول عن كل المجمع امام الحكومة، عن اي تنظيم معادي للحكومة، وعن اي شخص يعمل مخالفا للحكومة.

٢- انك مسؤول عن عدم تنفيذ جماهير المجمع اوامر الحزب من الشعبة والفرقة الحزبية، والمشاركة في الاحتفالات الحزبية.

٣- عدم منافسة اغوات الزيبارين امثال ارشد ولتو الزيباري، وعدم الاختلاط بالزيباريين من جماعتهم. جاوبته قائلاً: استاذ في المجمع (١٢) الف نسمة، كيف اكون مسؤولا عن كل هؤلاء عندما يقوم فرد ما بعمل معاد للحكومة؟ فاني لاعرف الا القليلين منهم، لاني من منطقة عقرة وهؤلاء قسم منهم من زاخو والعمادية ودهوك: قال لا اعرف هذا. تفضل وقع وروح الله معك. وقفت قائلا، اوقع واني مستعد للقتل الان وليس بهذه الاساليب.

نظر الي وقال: ان هذا أمر، أمرني الاستاذ علي بان انقل كلامه لك، والكلام الذي سمعته مني اول دخولكم هو كلامه ايضا ولدى عودتي الى اربيل وفي نفس اليوم جاءني شخص من الموصل كان متواجدا في نفس اليوم عندما قال ارشد الزيباري (الوزير) للناس الجالسين في حديقة داره بالموصل نص الكلام ونص التعهد الذي وقعته امام العقيد مرعي في كركوك مما يؤكد التنسيق بين ارشد الزيباري وكبار مسؤولي الدولة في ممارسة الضغط والتهديد تجاهي لخلافات شخصية عشائرية فيما بيننا، فهم يعادوننا بكل السبل، ولهم اصدقاء من المسؤولين. يبذلون الاموال الطائلة التي سرقرها من الدولة لاقناع اي مسؤول حكومي لتسهيل مآربهم في الضغط علي شخصيا رغم موقفي الحرج وانا في هذا المجمع.

بعد مرور شهر على عودتي من كركوك اتاني شخص بلباس مدني قائلا: لي شغل ضروري معك. تنحيت به جانبا قائلاً له: ماذا تريد مني فانا لا اعرفك؟ قال: جئت من ايران من عند السيد مسعود البارزاني شخصياً، سوف اقوم بعمل تنظيمات حزبية في المجمع للحزب الديمقراطي الكردستاني، وطلب منك التعاون معي. فكرت مليا بدون ان ارد عليه وعلمت انها خدعة، قلت له: اذهب لحال سبيلك والا ساقوم باخبار السلطة وطردته. بعدها علمت ان هذا الشخص اسمه ملازم محمد اردني، ولكنني ولحد الان لم اعرف ما غايته وما هي الجهة التي كلفته بذلك.

رفع الحجز.. ولكن..

بعد مرور سنتين من بقائنا في المجمع اخبرونا ان مسؤولا كبيرا سيزور المجمع، فقد جاء حسن علي العامري والقى خطابا اعلن فيه انتهاء الحجز على سكنة المجمع معلنا خيار البقاء في المجمع او العودة الى مناطق الحكم الذاتي بشرط عدم التوجه للمناطق المحرمة حيث اعلن انه يمكننا الذهاب الى دهوك وقضاء زاخو وعمادية وسرسنك واخبرنا بأن قائمقام مركز اربيل سيزودنا باوراق عدم التعرض لنقل اثاثنا الى مناطق دهوك. في نفس اليوم قدم كثيرون طلباتهم لتزويدهم بورقة عدم التعرض، واني شخصيا قدمت الطلب ايضا وتمت الموافقة على طلبي ولظروف خاصة بي فقد تاخرنا عشرة ايام حيث طلبني محافظ اربيل يحيى الجاف، ولدى مواجهته اخبرني بامر من مكتب الرئيس (القصر الجمهوري) وهذا الامر ينص على ان قرار عودة سكنة المجمع الى مناطقهم، يستثنى منه انت واخوانك واقاربك، اذن فقد منعنا من العودة وبقينا في المجمع.

بدأ سكنة المجمع بالرحيل وبقينا نعاني خيبة امل حيث كنا مرتاحين مع الجموع المتآخية في المجمع، فقد صدرت براءة الجميع الا نحن، وكان هذا الامر مبعث ألم وحزن شديد لنا وبدأنا بالتفكير في مصيرنا المجهول مرة اخرى، واضطر كل شخص

من ساكني المجمع بان يربط نفسه بمستشار ليحصل منه على ورقة او هوية تمكنه السفر والتجول في المدن لقضاء حاجياتهم كمواطن عادي. بقينا بدون امل وبدون هوية وبدون مال، وللخروج من المعاناة والحصول على هوية تمكننا السفر والتجوال قررنا تسجيل اسمائنا في صفوف الجيش الشعبي، وكنت من اوائل المسجلين مع حوالي مائة شخص، حيث لم يكن لنا هذه المجموعة، اية علاقة خاصة بالمسؤولين الحكوميين ولا بالمستشارين وليس لنا اي طريق نسلكه، افضل من طريق الجيش الشعبي.

للحصول على هوية تمكننا حرية الحركة والتنقل فهذا افضل من الاذلال والركوع للمستشارين.

وبعد فترة الجيش الشعبي عدنا الى المجمع، نشعر بشئ من الاطمئنان على حياتنا، من غدر السلطة بنا لكن الامر الاستثنائي ببقائنا ومنعنا من العودة الى ديارنا اسوة بالاخرين لايزال ساريا. بعد مرور شهرين استلمت تبليغا من شرطة عينكاوه لمواجهة المحافظ. ذهبت في الموعد المقرر بسيارة باص لنقل الركاب بسعر نصف دينار من مجمع جيزنيكان الى اربيل، لكوني لم اكن املك سيارة، ولا المال حتى التمكن من تاجير سيارة تاكسي خصوصي لكوني بدون وارد وبدون راتب خلال هاتين السنتين، حيث كنا نعيش خلالها على مساعدة الاخوان والشخصيات من اهالي اربيل الكرماء وهذه المساعدة لم تكن تكفي كل شئ فقد كنا نعيش عيشة اعتيادية. وصلت المحافظة ورأيت المحافظ جالسا على كرسيه وبعد المصافحة قال لي: يا اخ رضا هل تستطيع ان تزورنا بعد ساعتين؟ قلت نعم. خرجت من غرفته متوجها الى السوق وعدت اليه بعد مرور الوقت المحدد، وفي الطابق الاول لمبنى المحافظة التقيت سكرتير المحافظ الذي بادرني قائلا: ان المحافظ امر ان تنتظره في مكتبي. وبعد مرور نصف ساعة من مكوثي في غرفة السكرتير سمعت اصوات جزم الشرطة وهم يؤدون التحية واصوات سيارات النجدة ادركت ان مسؤولا كبيرا

قادم وليس المحافظ وحده ولما كان باب غرفة المحافظ يمر عبر غرفة السكرتير فقد دخل كل من حسن علي العامري والمحافظ يحيى الجاف ومسؤول فرع اربيل للحزب البعثي صبحي علي الخلف وكان المحافظ يدخل وراءهما. فور دخولهم غرفة المحافظ اشار المحافظ الى السكرتير فدخل الغرفة وخرج منها فورا قال لي: تفضل رضا، دخلت فوجدت المحافظ وامين سر الفرع واقفين ينتظران خروج حسن علي العامري من المغسل، لما خرج وهو ينشف يديه من الماء قال: هذا رضا اهلاً وسهلاً به، تصافحنا وجلسنا جميعا حيث قال: يارضا طلبت من المحافظ بتبليغك كي التقي بك، فانتم في عزم واحترام عندنا، فانتم من عائلة عريقة، وتعاونكم مع الحكومة العراقية منذ تاسيسها. التحاقكم بالعصاة واستسلامكم في الانفال، واسكان عوائلكم في المجمع اصابكم خسارة جسيمة، والان امر السيد الرئيس بعودة سكنة المجمع الى مناطق الحكم الذاتي، اما بالنسبة لك شخصيا فقد منع رجوعك الى محافظتي نينوى ودهوك مع اخوانك واقربائك وليس معنى هذا ان الحكومة قد اعفت الجميع وبقيتم انتم غير معفوين السبب هو عدواتكم مع جماعة اقربائكم فهؤلاء خدموا السلطة والسيد الرئيس يثق بهم ويقدر طلباتهم وخوفا على ارواحكم فقد رأينا ان من المصلحة بقاؤكم في اربيل الى اشعار آخر قلت: اننا فعلنا كل شئ ضد الحكومة وفي الانفال استسلمنا لكم بقرار عفو صادر من الحكومة ولو كنا نعلم ان هناك حكومة اخرى لفضلنا الموت على الاستسلام ولامانع لدينا من بقائنا لكن بسبب خلو المجمع ورحيل الناس عنها لايمكن بقاء عائلتنا فقط في المجمع المهجور. اجاب: هذا المحافظ سيزودك بدار سكن في اربيل، وانتهت المواجهة، في اليوم التالي واجهت المحافظ بناء على طلبه ليريني الدار. وفعلا رأيت الدار المتكون من غرفتين، حيث لم يكن يناسبني بتاتا فعائلتي مؤلفة من (٢٢) فرداً لذا بقينا في المجمع مع عدة عوائل ممن لم تتوفر لهم الامكانية المالية لاجور السيارات، وليس لهم مكان يتوجهون اليه، بقينا مع هذه العوائل لحين بدء هجوم الحلفاء، بعد غزو

النظام لـ(الكويت) في حرب الخليج الثانية.

ويتذكر الجميع ان الاستماع لاخبار الاذاعات من الراديو كان هو الشغل الشاغل للعراقين عامة ينتظرون النتيجة الى ان دخلت قوات الحلفاء الكويت وبدون ان تكون لدي اية معلومات مسبقة اخبرني احد الناس بدخول فصائل البيشمركه قصبة رانية، واستسلام جميع قوات الجيش للانتفاضة. في اليوم الثاني وصلتنا معلومات ببدأ الانتفاضة في شقلاوه وديانا، واخبار ومعلومات بوصول مفارز البيشمركه الى صلاح الدين (المصيف). في نفس اليوم وصلت الى المجمع جماعة من شعبة عدنان خيرالله في عينكاوه، حيث كنت احتفظ باربعة بنادق للجيش الشعبي، لم يطالبني احد بتسليمها، حيث طالبوني بتسليم البنادق الاربع لانها بذمة الشعبة وسلمتهم البنادق وكان يرافقهم رفيق مسيحي من عينكاوه (ابو هند) الرفيق تيمور، سألت هذا الرفيق عن الوضع فاجاب بان الوضع هادئ قلت له: لكن هناك معلومات بان كل المدن الشمالية انتفضت ووصلت مفارز من المخربين الى مصيف صلاح الدين؟ اجابني: لاتوجد عندنا هذه المعلومات. اردت ان اعرف شيئاً عن معنوياتهم فقلت لهم ماذا تعمل اذا وصلوا هنا؟ سكت الجميع وضحك الرفيق تيمور قائلا: ياشيخ رضا



اذا جاءك البيشمركه فاسقيهم ماءاً باردا وشايا محترما، وضحك الجميع ورحلوا.
بعد رحيلهم بدأت افكر واستعرض الايام منذ الانفال وحتى تلك اللحظة فكانت تمر امام عيني كشريط سينمائي، كل المصاعب والمتاعب التي اعترضت سبيلي وسبيل عائلتي على طريق (الكوردايه تي) وما حل بنا من تدمير وخراب وخسارة جسيمة في الارواح والاموال، وعلى هامش هذه الذكرى الاليمة كنت قد عاهدت نفسي على ان لا التحق باية ثورة كردية اخرى، ولكن ها انا ذا مجاور لاربيل، فان لم التحق بالثورة فالثورة تلحق بي. وتتوالى الافكار والخواطر ..... في صباح اليوم التالي، سمعت اصوات انفجارات في اربيل مركز المحافظة، فالخبر؟ بعد ما يقارب اكثر من ساعتين وردنا الخبر من اربيل: الانتفاضة.. المدينة سقطت بيد جماهير الشعب المنتفضين والبيشمركه. ومن بعيد رأيت مجموعة مسلحة قاصدة دارنا في جيژنيكان.، تساءلت مع نفسي من هؤلاء ومن يكونون؟ ولدى اقترابهم عرفتهم: انهم زيباريون من عشيرتنا وهم من الافواج الخفيفية، ومسلحين، من اتباع الحكومة: وعددهم خمسة عشر مسلحاً سألتهم: من اين جئتم؟ قالوا: سدت علينا كل طرق العودة الى الموصل من قبل الانتفاضة الشعبية، فقط هذا الطريق الذي سلكناه، وهو طريق بيتك. وقد اوضح لي هؤلاء الزيباريون الجحوش، انهم كانوا ضمن عدة افواج من المرتزقة من منطقة الموصل كلفوا من قبل السلطة بواجبات عسكرية في مدينة اربيل تعزيزا لموقف السلطة، وبعد مضي يومين من تكليفهم بواجب حماية بناية المحافظة ومنظومة الاستخبارات العسكرية فوجئوا في الصباح التالي الباكر، باصوات الطلقات والانفجارات داخل مركز المدينة، فاستحكموا على سطح بناية المحافظة، حيث تدفقت الجموع المنتفضة الثائرة من رجال ونساء في هجوم كاسح افقدتهم قدرة الاستمرار في المقاومة والتصدي للمهاجمين، فما كان منهم حفاظا لارواحهم، الا ترك مواقعهم القتالية والاختلاط بالمنتفضين، فلا احد يعرف انهم عملاء السلطة وتصور المنتفضون انهم معهم، وتسللوا خلف صفوف

المهاجمين، وارتفعت رايات النصر في المدينة كلها، ولم يبق امامهم من سبيل للنجاة بارواحهم سوى اللجوء الى داري، وقد رحبت بهم ضيوفا، لحين صدور قرار العفو من قيادة الثورة الكردية، حيث عادوا الى بيوتهم في قضاء عقرة بعد تجريدهم من السلاح. خلال ايام الحرية بقيت في المجمع، الى ان بدأت السلطة هجومها الغادر على كركوك واحتلالها، وظهور تحشدات عسكرية في منطقة قوشتبه استعدادا لشن هجوم على اربيل، حيث سافرت الى مصيف صلاح الدين، والتقيت السيد البارزاني لاول مرة منذ وقوعنا في الاسر عام ١٩٨٨. في هذا الوقت وصلت معلومات تفيد بنزوح اهالي اربيل افواجا افواجا بالسيارات ومشيا على الاقدام، وتركهم المدينة خوفا من القصف العشوائي بالسلاح الكيمياوي وتزامنا مع اندفاع الموجات البشرية الهائلة وخروجها من المدينة، قصفت طائرتان عموديتان طريق اربيل صلاح الدين ومنطقة ملا عمر، عرفت ان الموقف تغير، فاستأذنت السيد مسعود البارزاني، للعودة الى المجمع لنجدة عائلتي، وجابهتني صعوبة توفر واسطة نقل، فليس لي سيارة وطريق ملا عمر اغلق بسبب القصف العشوائي من قبل النظام للجماهير النازحة. حين وصولي الى المجمع لم ار غير عائلتي، منتظرة، باحثة عني. وبدون تلكؤ تركت كل شئ، وخرجت مع افراد عائلتي فقط سالكين طريق (ميران خور) الهركية وانا احمل اثنين من اطفالي مشيا على الاقدام غرب مصيف صلاح الدين وكوري لنصل الشارع العام باتجاه حرير بعد ان استغرق بنا المسير يومين، كاملين. بعدها واصلنا المسير عبر الشارع نحو ديانا لنبقى هناك يومين، لنواصل المسير ومشيا على الاقدام ايضا باتجاه ايران لدى وصولنا قصبة چومان، نفذ ما عندنا من الطعام ولم يبق معنا ما ناكله فجلسنا على رصيف الشارع، حيث الالاف المؤلفة من العوائل النازحة، وكان لدى البعض من هذه العوائل سيارات لوري قلاب يحملون فيها معهم الارزاق ومستلزمات الطبخ وشاهدنا امرأتين تخبزان الخبز، ومن شدة الجوع طلب احد اولادي وعمره (١٢) عاما رغيفاً

من احدى هاتين المرأتين. فامتنعت عن اعطاءه. فعاد والدموع تذرف من عينيه نظرت اليه المرأة الثانية ورقت لحاله، فاعطته واحدا، عاد لاخوانه بالرغيف فرحا وقسم عليهم الرغيف، لقمة واحدة لكل فرد فقد كنا (٢٢) فرداً. لدى وصولنا ايران، اسكنونا قصبة شنو، تتوالى الايام، وتتسارع الاحداث، ونعود ساكنين دارنا القديم في قرية (شرمن)، وقد تحررت ارض كوردستان، فينتخب البرلمان وتتشكل حكومة اقليم كوردستان حيث الحرية والديمقراطية للجميع. وتستمر الحياة، وتعود البسمة لتعلوا الوجوه.





دهوك ١٩٩٥

مطبعة هاوار ـ دهوك